

د. نادية جاسم محمد

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

عنوان المحاضرة الدوادين

الديوان : كلمة فارسية معربة كانت تعنى اسم للشياطين ، وسمى الكتاب الفرس بكتاب الدواودين لحقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي منها والخفي ثم اطلق على الدفتر او السجل الذي تحفظ فيه أسماء الموظفين في الدولة واعطياتهم ثم على الموضع الذي يجلس فيه الكتاب .

كان الخليفة عمر () اول من وضع اسس النظام الاداري للدولة العربية الاسلامية باستحداثه الدواودين وكان اول ديوان ظهر في عهده هو ديوان الجند او ديوان العطاء لانه كان يحفظ اسماء المقاتلين وانسابهم ومقدار عطاهم وموعد استحقاقهم ، وسبب إنشاؤه هو أن أبو هريرة () قدم بمال من البحرين ، فقال له عمر () : مَاذَا جَئْتَ بِهِ؟ قَالَ: خَمْسَمَائَةَ أَلْفَ درَهْمٍ، فَاسْتَكْثَرَهُ عَمَرٌ وَقَالَ: أَنْدَرِي ما تَقُولُ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَائَةَ أَلْفَ خَمْسَ مَرَاتٍ؛ فَصَدَعَ عَمَرٌ () الْمُتَبَرْ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مَالًا، فَإِنْ شَتَّمْ كُلَّتُهُ لَكُمْ كِيلًا، وَإِنْ شَتَّمْ عَدْدَنَا لَكُمْ عَدَدًا " ، وقيل له - إن العجم تدون ديواناً لهم يكتبون فيه الأسماء فأمر باتخاذ الديوان.

يظهر ان السبب الرئيس لاستحداث هذا الديوان هو كثرة الأموال الواردة الى الدولة ورغبة الخليفة بتوزيعها بشكل عادل ، كما ان الخليفة عمر اراد ان يجعل من العرب امة مقاتلة ويوجهها الى الجهاد في سبيل نشر الإسلام وبذلك خصص للمقاتلة رواتب دائمة ليكفيهم مؤونة العمل فخصص سجلا يحفظ اسماء المحاربين واهليهم ورتبتها حسب أسبقيتهم في الإسلام والقرابة من الرسول () بناءً على قاعدته المعروفة (لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه) .

وفي العصر الاموي ظهرت عدد من الدواودين حسب الحاجة اليها وكالاتي :

1- ديوان الرسائل او الانشاء : هو مصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأ واحتزره . وأعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها،أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه فقال: (أقرأ ورُبِّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلت قدرته: " وَإِنْ عَلِمْتُمْ لَحَافِظِينَ كَرَاماً كَاتِبِينَ " ثم كان نتيجة تفضيلها، واثرة تعظيمها وتجليلها،أن الشارع ندب الى مقصدتها السنى، وحث على مطلبها الأغنى، فقال () " قِدُّوْا الْعِلْمَ بالكتاب" والكتابة أحدى الصنائع فلا بد فيها من : الألفاظ والخط الذي يخطه القلم وآلتها القلم ، وقد أطنب السلف في مدح الكتابة والتحث عليها فلم يتركوا شاؤا لمادح حتى قال سعيد بن العاص: " مَنْ لَمْ يَكْتُبْ فَيُمِنْهُ يُسْرِىْ " .

كان النبي () يكتب أمراءه ، وأصحاب سراياه من الصحابة ويكابدونه، وكتب إلى عدد من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسالته بكتبه: فبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وعبد الله بن حداقة إلى كسرى أبوريز ملك الفرس، ودحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوس صاحب مصر إلى غير ذلك من المكاتب.

وكان للنبي (ﷺ) اكثراً من ثلاثة كاتبًا منهم : أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والمعيرة بن شعبة / وكتب لأبي بكر : وزيد بن ثابت / وكتب لعمر : عبد الله بن خلف / وكتب لعثمان : مروان بن الحكم / وكتب لعلي : عبد الله بن أبي رافع . وفي العصر الاموي تكامل هذا الديوان وأصبح له فنه الخاص في زمن الوليد بن عبد الملك .

صفات الكاتب

ان يكون مسلما ذكرا حرا مكلفا عادلا قوي العزم فضلا عن علو الهمة وشرف النفس والعلم بمقدار الأحكام الشرعية والفنون الأدبية وينبغى أن يكون الكاتب أدبياً، حاد الذهن، قوي النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلو اللسان، له جرأة يثبت بها الأمور على حكم البديهة عظيم النزاهة، كريم الأخلاق .

2- ديوان الخراج : يعد من اهم الدواوين حيث كانت تجمع فيه الموارد المالية للدولة وخاصة خراج الاراضي الزراعية ، ويتولى تنظيم مقادير الخراج والنظر في مشكلاته .

3- ديوان الجند : وهو نفسه الذي ظهر في عهد عمر وتطور في العصر الاموي بعد ان اضيف اليه مسألة احصاء الجند وتدوين مقدار اعطياتهم .

4- ديوان البريد : ظهرت الحاجة اليه منذ عهد عمر ولكن معاوية هو الذي رتبه بان جعل موظفين يعتنون بایصال الرسائل ، ومعنى ذلك أن تقسيم الطرق محطات في كل محطة دواب مهيبة معدة لحمل كتب الخليفة إلى البلدان المختلفة، فتسلم الكتب بالحاضرنة فإذا أخذها صاحب البريد) ويرافقه الغرانق: أي الحامل للخرائط (ويمر مسرعاً حتى إذا وصل إلى أول محطة سلمها لصاحب البريد فيها فيفعل بها كال الأول والمسافة ما بين السكتين فرسخان بالتقريب . وبذلك كانت تصل الكتب إلى الأمراء والعمال في أسرع وقت يمكن . فضلا عن تتبع اخبار الأقاليم والأمسكار وهم بمثابة جهاز المخابرات او العيون . وقد اضاف العباسيون لاحقا استخدام الحمام الزاجل في نقل الاخبار كما حدث في عهد المعتصم عندما وصله نبأ الظفر ببابك الخرمي عبر الحمام الزاجل ، واستخدمو ا ايضاً سفن البريد في نقل الاخبار في المناطق الواقعة على مجاري الأنهر واستعملوا كذلك النار في الإشارات لنقل الرسائل .

5- ديوان الخاتم : ويتولاه صاحب الخاتم او الختم الذي يقوم بختم الكتب التي تصدر عن الخليفة وتحفظ نسخة منه في الديوان وترزم وتختم بالشمع الاحمر . ظهر في عهد معاوية وكان سببه أنه أمر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم ، وكتب له بها على زياد، فزور عمرو المائة مائتين ، فلما رفع حساب زياد أنكرها معاوية، وأخذ عمراً بردتها، فوفاها عنه أخوه عبد الله . ثم أمر معاوية بختم الكتب وحرزها.

6- ديوان المستغلات : هو ديوان يتولى الإشراف على ادارة اموال الدولة غير المنقوله كالاراضي والابنية والمعمارات . ظهر في عهد الوليد .

7- ديوان النفقات : تتحصر مسؤوليته في الانفاق على تسليح وتجهيز الجيوش ومصروفات الادارة المركزية في الدولة .

8- ديوان الصدقات : يتولى صاحبه النظر في موارد الصدقات والزكاة وفي كيفية توزيعها على مستحقيها وفق مارود في القرآن الكريم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْمَنُونَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وقد ورد اولاً في خلافة هشام بن عبد الملك .

9- ديوان الطراز : يتولى الاشراف على انتاج الملابس والازياط الرسمية والاعلام وشارات الدولة وهو ما يسمى بمعامل الطراز . وقد ورد ذكره في خلافة هشام بن عبد الملك . وكان الروم يستخدمون الصور في تزيين ملابسهم واعلامهم ، فاستعاروا عنها المسلمين بالآيات القرانية .

تعریف الدواوین

يرجع فضل تعریف الدواوین الى الخليفة عبد الملك بن مروان (684-686هـ/705 م) بعد أن كانت تكتب بلغات أهلها فالديوان المصري كان يكتب باللغة القبطية ويتولى أعماله جماعة من الأقباط ، وقد عربه (يربوع الفزاری) والشامي كان يكتب باللغة البيزنطية وأموره بأيدي أناس من نصارى الشام وعربه (سلیمان بن سعد الخشني) ، والعراقي يكتب باللغة الفارسية وامر الحاج صالح بن عبد الرحمن بتعریفه .. ولا يخفى ما كان لتعریف الدواوین وتسلیم مقالیدها إلى المسلمين من أثر عظيم في تثبيت قواعد الدولة الإسلامية ، لأنه جعل اللسان العربي لساناً عاماً في أنحاء الدولة كلها ، وساعد على ذلك أن اللغة العربية لغة القرآن . فضلاً عن سهولة الإشراف عليها وضبط اعمالها منعاً من الغش والتزوير واحكام الرقابة المالية على الدواوين وإستكمال السيادة العربية عليها . كما ان الفترة الاسلامية السابقة قد افرزت عدداً من الكتاب الذين مهروا بالكتابة والخط والانشاء حتى اصبحوا محل الكتاب المحلبين . ومن أعمال عبد الملك المهمة ضرب النقود الذهبية باللغة العربية ، كما أمر بأن تكون الكتابة على الطراز باللغة العربية .

تطور الدواوین في العصر العباسي

لم يحدث تطور كبير في الدواوين سوى زيادة الاشراف عليها من قبل الوزراء كما كانت الدفاتر في الدواوين في عهد الخليفة السفاح صحفاً مدرجة ، فأول من جعلها دفاتر من جلد موحدة في مصحف واحد خالد بن برمك حفظاً عليها من الضياع

اهم دواوين العصر العباسي :

- 1- ديوان المصادرات : استحدثه المنصور لحفظ اسماء من صودرت اموالهم من بنى امية .
- 2- ديوان الازمة : استحدثه المهدى للاشراف على عمل الدواوين الكبيرة وتدقيق حساباتها كما انشأ ايضا ديوان زمام الازمة لتدقيق اعمال ديوان الازمة .
- 3- ديوان النظر في المظالم : استحدثه المهدى ايضا للنظر في شكوى الرعية ضد كبار رجال الدولة وكان يجلس فيه بنفسه لسماع الشكاوى .
- 4- ديوان الصوافي : اسسه الرشيد للنظر في امور الاراضي التابعة للخلافة كما احدث ديوان الضياع للنظر في ضياع الخلافة .
- 5- ديوان الجبهة : نشأ في عهد المأمون للنظر في تدقيق حسابات بيت المال وموارده
- 6- ديوان الموالي : استحدثه المتوكل للنظر في شؤون الخدم والموالي بعد كثرةهم خاصة المتصلين بالبلاط والجند الاتراك .
- 7- ديوان زمام النفقات : للنظر في نفقات الخلافة على الأمور الإدارية .
- 8- ديوان الاستخراج : ظهر في العصر العباسي الثاني ومهمته النظر في متابعة الوزراء والكتاب والحجاب والولاة واخبارهم او المتهمين بالرشوة لكي يحصلوا اموالهم التي جمعوها .

